
السّاحر

قِصَصُ الأطفال

الفلّاح السّاحر

تأليف

عبد السّلام ياسين   محمد شفيق   عبد الكريم حليم

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر

كانَ في بَعْضِ ٱلْجُزُرِ فَلاَّحٌ فقيرٌ جِدّاً يُدْعى صُرْصُوراً . وَكانَ لاَ يَحْصُلُ عَلى قُوتِ يَوْمِهِ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ . وَلاَ يأْكُلُ أَحْيَاناً إِلّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي ٱلْيَوْمِ . وَكَثِيراً مَا يَسْمَعُ ، عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ بِصَعَالِيكَ مِثْلِهِ ، أَنَّ هُناكَ عَـدَداً كَبِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ يَقْضُونَ أَوْقَاتاً طَوِيلَةً عَلى المَائِدَةِ يأْكُلُونَ كُلَّ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ مِنَ ٱلطَّعامِ ، وَيَخْتِمُونَ وَجَبَاتِهِمْ بِكُلِّ لَذِيذٍ طَيِّبٍ مِنَ ٱلْفَاكِهَةِ . وَكانَ يُناجِي نَفْسَهُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَـرَ وَيَقُولُ : « مَتى أَسْتَطِيعُ ٱلتَّمَتُّعَ بِزَرْدَةٍ أَوْ زَرْدَتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ؟ وَلْيأْتِ المَوتُ بَعْدَ ذٰلِكَ ! » .

ثُمَّ فَكَّرَ فِي أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ سَاحِرٌ وَقَالَ : « لَعَلِّي أَجِدُ مِنَ ٱلْبُلَدَاءِ مَنْ يَثِقُ بِي ، فَأُحَقِّقَ أُمْنِيَّتِي » . فَخَرَجَ يَضْرِبُ فِي ٱلْأَرْضِ ، يَبِيتُ مَرَّةً فِي ٱلْعَرَاءِ وَمَرَّةً فِي بَعْضِ ٱلطَّوَاحِينِ .

وَفي مَساءِ ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ وَقَفَ بِبابِ قَصْرٍ كانَتْ تَسْكُنُهُ أَميرَةٌ غَنِيَّةٌ كَثيرَةُ ٱلْأَمْوالِ وَالْخَدَمِ . وَكانَتْ قَدْ ضاعَتْ لَها في صَباحِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ نَفْسِهِ ياقوتَةٌ نَفيسَةٌ لا يُقَدَّرُ لَها ثَمَنٌ . وَحَزِنَتْ كَثيراً لِفَقْدِها ، وَلا سِيَّما أَنَّها كانَتْ هَدِيَّةً مِنَ المَرْحُومِ أَبيها .

فَاسْتَضافَ صُرْصُورٌ الْأَميرَةَ فَأَضافَتْهُ وَقَصَّتْ عَلَيْهِ قِصَّتَها . فَقالَ لَهَا : « لا تَجْزَعي يا سَيِّدَتي ، إِنَّ الْأَمْرَ هَيِّنٌ . فَأَنَا أَلْتَزِمُ بِأَنْ أَجِدَ ياقوتَتَكِ قَبْلَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، وَلٰكِنْ بِشَرْطٍ ... » قالَتْ : « وَمَا هُوَ ؟ » قالَ : « أَنْ تُقَدِّمَ لي ثَلاثُ وَجْباتٍ فاخِرَةٍ ، وَبَعْدَ ٱلثّالِثَةِ أَدُلُّكِ بِدُونِ شَكٍّ عَلى مَكانِ ٱلْياقُوتَةِ ». فَقَبِلَتِ الْأَميرَةُ وَأَدْخَلَتْهُ قاعَةً مَفْرُوشَةً بِأَنْفَسِ ٱلْفِراشِ وَذَهَبَتْ إِلَى غُرْفَتِها . فَٱسْتَلْقَى صاحِبُنا عَلى ظَهْرِهِ



وَأَخذَ يَجُسُّ ٱلفِرَاشَ بِيَدِهِ قَائِلاً : « مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ فِي ٱلدُّنْيَا فِرَاشاً وَثِيراً مِثْلَ هٰذَا ، أَنَا ٱلَّذِي أَفْتَرِشُ ٱلْقَشَّ ٱليَابِسَ . فَلْأَغْتَنِمِ ٱلْفُرْصَةَ ، وَلْيَكُنْ مَا شَاءَ ٱللهُ » .

وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى دَخَلَتْ خَادِمَةٌ وَفِي يَدِهَا طَسْتٌ وَإِبْرِيقٌ . وَلَمَّا ٱقْتَرَبَتْ مِنْهُ رَفَعَ إِلَيْهَا بَصَرَهُ وَقَالَ : « أَتَظُنِّينَنِي وَسِخَ ٱلْيَدَيْنِ فَتُقَدِّمِي إِلَيَّ ٱلطَّسْتَ . هَاتِي ٱلطَّعَامَ بِسُرْعَةٍ » . فَمَدَّتِ ٱلْخَادِمَةُ مَائِدَةً ضَخْمَةً وَصَفَّفَتْ عَلَيْهَا أَلْوَاناً عَدِيدَةً مِنَ ٱلطَّعَامِ : فَهٰذَا شِوَاءٌ مَا زَالَ بُخَارُهُ يَتَصَاعَدُ ، وَذَاكَ دَجَاجٌ مَحْشُوٌّ ، وَهٰذِهِ أَفْرَاخٌ شَهِيَّةٌ ، وَذٰلِكَ عَصِيرُ ٱللَّوْزِ نَاصِعُ ٱلبَيَاضِ الخ .. فَتَمَنْطَقَ صُرْصُورٌ وَٱقْتَرَبَ إِلى ٱلمَائِدَةِ وَأَخَذَ يَزْدَرِدُ كُلَّ مَا كَانَ أَمَامَهُ وَيَتَنَاوَلُ ٱلطَّعَامَ أَحْيَاناً بِكِلْتَا يَدَيْهِ . وَبَقِيَ سَاعَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ عَلى ٱلمَائِدَةِ حَتَّى

أَفْرَغَ جَمِيعَ ٱلصُّحُونِ وَتَرَكَهَا نَظِيفَةً . ثُمَّ ٱسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ قَائِلاً : « هٰذِهِ الأُولَى » .

وَفِي مَسَاءِ ٱلْغَدِ قُدِّمَ إِلَيْهِ عَشَاءٌ أَحْسَنُ مِنَ الأَوَّلِ ، قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ خَادِمَةٌ أُخْرَى غَيْرُ الْخَادِمَةِ الَّتِي قَدَّمَتِ ٱلْعَشَاءَ الأَوَّلَ . فَلَمَّا ٱمْتَلَأَ وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسِيغَ وَلَوْ لُقْمَةً وَاحِدَةً تَمَدَّدَ فِي مَكَانِهِ قَائِلاً : « هٰذِهِ ٱلثَّانِيَةُ » .

وَكَانَ ٱلْعَشَاءُ ٱلثَّالِثُ خَيْراً مِنَ الأَوَّلَيْنِ . وَقَدْ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ خَادِمَةٌ أُخْرَى غَيْرُ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ . فَطَعِمَ حَتَّى شَبِعَ وَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، وَٱتَّكَأَ عَلَى ٱلْفِرَاشِ قَائِلاً بِصَوْتٍ خَافِتٍ : « هٰذِهِ ٱلثَّالِثَةُ » . وَمَا كَادَ يُغْفِي قَلِيلاً حَتَّى فُتِحَ بَابُ الْحُجْرَةِ فَجْأَةً وَخَرَّتِ الْخَادِمَاتُ الثَّلاثُ سَاجِدَاتٍ أَمَامَهُ وَقُلْنَ لَهُ : « سَيِّدَنَا السَّاحِرَ ، نَرْجُوكَ ، لا تَكْشِفْ أَمْرَنَا





وَلَا تَفْضَحْنَا . نَعَمْ يَا مَوْلَانَا ، نَحْنُ اللاَّئِي سَرَقْنَا ٱلْيَاقُوتَةَ . وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ كَاهِنٌ عَظِيمٌ لِأَنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ كُلَّمَا رَأَيْتَ إِحْدَانَا : « هٰذِهِ الأُولَى ، وَهٰذِهِ ٱلثَّانِيَةُ ، وَهٰذِهِ ٱلثَّالِثَةُ » .

وَلَا تَسْأَلْ عَنْ دَهْشَةِ صُرْصُورٍ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ ٱلْخَادِمَاتِ ، إِذْ كَانَ هُوَ يَقْصِدُ بِالأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ الوَجَبَاتِ الثَّلَاثَ الَّتِي كَانَ ٱشْتَرَطَهَا عَلَى ٱلْأَمِيرَةِ . وَلَمَّا أَدْرَكَ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ ٱلْخَلَاصَ مِمَّا أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهِ ٱسْتَقَامَ فِي جِلْسَتِهِ وَقَالَ لِلْخَادِمَاتِ فِي ٱبْتِسَامَةٍ سَاخِرَةٍ : « نَعَمْ ، لَمْ أَكُنْ أَشُكُّ فِي أَمْرِكُنَّ . فَقَدْ عَلِمْتُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنَّكُنَّ سَرَقْتُنَّ ٱلْيَاقُوتَةَ . وَلَوْلَا رِقَّةُ قَلْبِي عَلَيْكُنَّ وَعَطْفِي لَأَعْلَمْتُ ٱلْأَمِيرَةَ بِسُوءِ فِعْلِكُنَّ . وَٱلْآنَ وَقَدِ اعْتَرَفْتُنَّ وَٱسْتَعْطَفْتُنَّنِي ، فَلَنْ أُخْبِرَهَا . وَلٰكِنِ ٱئْتِينَنِي بِالْيَاقُوتَةِ ، وَعَرِّجْنَ عَلَى حَظِيرَةِ ٱلطَّيْرِ وَاحْمِلْنَ مَعَكُنَّ

أَكْبَرَ طَاوُوسٍ عِنْدَكُنَّ فِي هٰذَا ٱلْقَصْرِ ، ثُمَّ ٱتْرُكْنَنِي وَشَأْنِي وَلا تَخَفْنَ » .

وَٱغْتَبَطَتِ ٱلْخَادِمَاتُ لَمَّا عَلِمْنَ أَنَّهُنَّ سَيَنْجُونَ مِنَ ٱلْعِقَابِ . وَلَوْ قَدْ عَلِمَتِ الْأَمِيرَةُ بِأَمْرِهِنَّ لَكَانَ جَزَاؤُهُنَّ الْمَوْتَ ، لا مَحَالَةَ . فَأَسْرَعْنَ إِلَى حَظِيرَةِ ٱلطَّيْرِ وَأَتَيْنَ بِطَاوُوسٍ فَرِيدٍ فِي جَمَالِهِ . فَتَنَاوَلَ صُرْصُورٌ ٱلْيَاقُوتَةَ ، وَفَتَحَ فَمَ ٱلطَّاوُوسِ وَأَبْلَعَهُ إِيَّاهَا ، وَقَالَ لِلْخَادِمَاتِ : « ٱرْدُدْنَ ٱلطَّاوُوسَ إِلَى مَكَانِهِ وَأَعْلِمْنَ سَيِّدَتَكُنَّ أَنِّي فِي ٱنْتِظَارِهَا » .

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ حَتَّى أَقْبَلَتِ ٱلْأَمِيرَةُ وَهِيَ تَتَعَجَّلُ سَمَاعَ كَلَامِ صُرْصُورٍ ، فَقَالَ لَهَا : « سَيِّدَتِي ، أَلَمْ تَمُرِّي بِحَظِيرَةِ ٱلطَّيْرِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟ » فَقَالَتْ : « بَلَى ، مَرَرْتُ بِهَا » . قَالَ : « فَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلْيَاقُوتَةَ سَقَطَتْ مِنْكِ

هُناكَ ، فَابْتَلَعَها أَحدُ ٱلْطيُورِ » . فقالَتْ : « أُموقِنٌ أَنْتَ بِما تَقولُ ؟ وَهَلْ تَسْتَطِيـــعُ مَعْرِفَةَ هَـــذا ٱلْطَّائِرِ ؟ » قالَ : « لاَ أَسْهَلَ عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ . تَعالَيْ يا مَوْلاَتِي » . فَنَزَلاَ إِلى حَظِيرَةِ ٱلْطَّيْرِ وَالْخادِماتُ خَلْفَهُما . وَلَمَّا وَصَلاَ قالَ : « يا خَدَمُ ، أُعْرُضُوا ٱلْطَّيْرَ أَمامِي ، وَلاَ يَبْقَ طائِرٌ في الْحَظِيرَةِ » . فَبَدَأَ ٱسْتِعْرَاضُ ٱلْطُّيُورِ مِنْ دَجاجٍ وَبَطٍّ وَإِوَزٍّ وَحَجَلٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ ، وَصُرْصُورٌ يَنْظُرُ إِلَيْها فِي صَمْتٍ وَيُحَرِّكُ في يَدِهِ قَضِيباً رَقِيقاً كَأَنَّهُ قائِدٌ يَسْتَعْرِضُ جَيْشاً . وَجاءَ دَوْرُ الطَّواوِيسِ ، وَكانَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ فِي الاَسْتِعْراضِ . فَٱسْتَقامَ صُرْصُورٌ وَأَخَذَ يُحَدِّقُ إِلَيْها وَالأَمِيرَةُ واجِمَةٌ تَنْتَظِرُ ، وَقَدْ طالَ ٱنْتِظارُها . وَلَمّا مَرَّ ٱلطَّاوُوسُ المَعْلُومُ أَشارَ إِلَيْهِ صُرْصُورٌ بِقَضِيبِهِ قائِلاً : « هُوَ ذاكَ المُجْرِمُ . خُذُوهُ فَاقْتُلُوهُ ، وَسَتَجِدُونَ ٱلياقُوتَـــةَ فِي



حَوْصَلَتِهِ » . فَذُبِحَ ٱلطَّاوُوسُ وَأُخْرِجَتِ ٱلْيَاقُوتَةُ . فَفَرِحَتِ الْأَمِيرَةُ فَرَحاً شَدِيداً وَقَالَتْ لِصُرْصُورٍ : « إِنَّكَ لَسَاحِرٌ عَظِيمٌ ، يَا صُرْصُورُ . أَقِمْ مَعَنا فِي ٱلْقَصْرِ مَا شِئْتَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَسْتَرِيحُ ، وَعِنْدَما تُرِيدُ الذَّهَابَ أُجْزِلُ لَكَ ٱلْعَطاءَ إِنْ شاءَ ٱللهُ » . وَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِ ذٰلِكَ وَأَقَامَ فِي ٱلْقَصْرِ وَالْمَآدِبُ يَتْلُو بَعْضُها بَعْضاً صَباحاً وَمَساءً .

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ عادَ زَوْجُ الْأَمِيرَةِ مِنْ سَفَرِهِ . فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْأَمِيرَةُ قِصَّتَها بِكُلِّ تَفْصِيلٍ وَهِيَ تُمَجِّدُ صُرْصُوراً وَتُثْنِي عَلَيْهِ . لٰكِنَّ الْأَمِيرَ لَمْ يَثِقْ بِمَا سَمِعَ مِنْ أَمْرِ صُرْصُورٍ ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ : « عَلى كُلِّ حالٍ ، لا بُدَّ مِنْ أَنْ نَتَثَبَّتَ مِنْ ذٰلِكَ . إِنَّ هٰذا الدَّجَّالَ يَعِيشُ عَلى حِسابِنا مُنْذُ عِشْرِينَ يَوْماً لِأَنَّهُ صادَفَ الصَّوابَ مَرَّةً . فَسَأَمْتَحِنُهُ ، فَإِذا

كَانَ كَاهِناً حَقِيقَةً ، فَسَينَالُ مَا وَعَدْتُهُ بِهِ مِنَ المَالِ ، وَقَدْ أَزِيدُهُ عَلَى ذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ قَدْ سَخِرَ مِنَّا ، فَسَينَالُ الْعَذَابَ الأَلِيمَ وَأَضْرِبُ عُنُقَهُ » . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمَحَ الأَمِيرُ صُرْصُوراً صَغِيراً يَتَسَلَّقُ الْحَائِطَ بِجَانِبِهِ ، فَتَنَاوَلَهُ وَوَضَعَهُ فِي صَحْنٍ صَغِيرٍ وَغَطَّاهُ بِصَحْنٍ آخَرَ وَقَالَ : « عَلَيَّ بِهَذَا السَّاحِرِ الْعَظِيمِ ».

فَأُتِيَ بِهِ فِي أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَهُوَ يَتَعَثَّرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : « يَا مَوْلَايَ عَبْدَ الْقَادِرِ ، إِنْ أُفْلِتُّ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَلَكَ مِنِّي تَيْسٌ كَبِيرٌ » . وَلَمْ يَكَدْ يَدْخُلُ عَلَى الأَمِيرِ حَتَّى فَاجَأَهُ بِقَوْلِهِ : « إِنْ كُنْتَ سَاحِراً عَظِيماً كَمَا تَدَّعِي ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْرِفَ مَا خُبِّئَ فِي هَذَا الصَّحْنِ ؟» فَاصْفَرَّ لَوْنُ صَاحِبِنَا ، وَأَطْرَقَ قَلِيلاً ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الصَّحْنِ وَقَالَ مُتَأَسِّفاً عَلَى نَفْسِهِ : « هَا أَنْتَ ذَا

وَقَعْتَ فِي ٱلْفَخِّ يا عَمِّي صُرْصُور » . فَصاحَ الأَمِيرُ : « سُبْحَانَ اللهِ ! لَقَدْ صَدَقَتْ زَوْجِي . إِنَّكَ ، بِحَقٍّ ، لَأَعْظَمُ كَاهِنٍ فِي ٱلْعَالَمِ ، وَسَتَنَالُ مَا وُعِدْتَ بِهِ » . ثُمَّ مَدَّ لَهُ صُرَّةً مَمْلُوءَةً ذَهَباً وَقَالَ لَهُ : « سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ . وَإِنَّ قَصْرَنَا لَمَفْتُوحٌ لَكَ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْصِدَنَا مَتَى شِئْتَ ، فَسَتَحُلُّ عَلَى الرَّحْبِ وَٱلسَّعَة » .

فَتَنَاوَلَ صُرْصُورٌ الصُّرَّةَ وَمَضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ يَضْحَكُ وَيُهَمْهِمُ قَائِلاً : « لَقَدْ نَجَوْتُ فِي المَرَّةِ الأُولَى وَفِي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ . وَمَا أَظُنُّ أَنِّي أُفْلِتُ فِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، فَوَدَاعاً يَا سِحْرُ ! فَإِنَّ لِي مَا أَعِيشُ بِهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَجَلِي » .

تمت

مطبعة الدار التونسية للنشر

قصص الأطفال

- الفلاح وملك النحل
- الهراوة السحرية
- القط العنيد
- الفلّاح السّاحر

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر